Sociocultural Elite and Social Conflict in Contemporary Civilization (Projections on Arab society in light of the identity crisis)

Dr. Adel Diab Al-Ali*
Samer Asaad**

(Received 6 / 8 / 2023. Accepted 6 / 9 / 2023)

□ ABSTRACT □

This research paper discusses culture in modern society and its challenges, highlighting the challenges of cultural globalization and its impact on cultural identities. It suggests that contemporary vision disapproves of traditional ideas of authority, expertise, and objectivity, and focuses on deconstructing reality and self-experience. Some individuals believe that the traditional role of the intellectual has become outdated in the postmodern era and that intellectuals should strive to avoid isolation from the public and enhance communication and exchange with them.

This research emphasizes the importance of integrating concepts of diversity, pluralism, and self-experience in the works of intellectuals to stay connected with the spirit of the times. It stresses the preservation of intellectual freedom and their role in shaping public opinion, without being constrained by limitations that hinder their role and contribution.

Generally, the research addresses the topic of public opinion and the mutual influence between intellectuals and the public, as well as the role of media in shaping public opinion. It underscores the significance of genuine communication and exchange of ideas to achieve more accurate and comprehensive visions, promote societal development, and bring about social change

Keywords: Elite, Postmodern era, Culture, Modern society, Intellectual, Cultural globalization.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Professor, Department of sociology, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

** **Phd Student , Department of sociology, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

النخبة الاجتماعية الثقافية والصراع الاجتماعي في الحضارة المعاصرة ((إسقاطات على المجتمع العربي في ضوء أزمة الهوية))

د. عادل دياب العلي*

سامر أسعد**

(تاريخ الإيداع 6 / 8 / 2023. قبل للنشر في 6 / 9 / 2023)

□ ملخّص □

تتناول هذه الورقة البحثية الثقافة في المجتمع الحديث وتحدياتها فتشير إلى تحديات العولمة الثقافية وتأثيرها على الهويات الثقافية، وتقترح أن الرؤية المعاصرة تستنكر الأفكار التقليدية للسلطة الاجتماعية والخبرة والموضوعية، وتركز على تجزئة الواقع وتجربة الذات. يعتبر بعض الأشخاص أن الدور التقليدي للمثقف قد أصبح قديماً في عصر ما بعد الحداثة وأنه يجب على المثقف أن يعمل على تفادي العزلة عن الجمهور وتعزيز التواصل والتبادل معه.

ويشدد هذا البحث على أهمية تكامل مفاهيم التعددية والتنوع وتجربة الذات في أعمال المثقفين للبقاء على تواصل مع روح العصر، وعلى الحفاظ على حرية المثقف ودوره في تشكيل الرأي العام وعدم تقييده بالقيود التي تحد من دوره ومساهمته.

بشكل عام، يتعامل البحث مع موضوع الرأي العام والتأثير المتبادل بين المثقفين والجمهور ودور وسائل الإعلام في تشكيل الرأي العام. ويستعرض أهمية التواصل والتبادل الحقيقي للأفكار لتحقيق رؤى أكثر دقة وشمولًا وتعزيز تنمية المجتمع وتحقيق التغيير الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: نخبة، عصر ما بعد الحداثة، الثقافة، المجتمع الحديث، المثقف، العولمة الثقافية

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ ، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

** **طالب دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مقدمة:

لقد أحدثَ عصرُ مَا بَعد الحداثةِ تحوّلاً مهمّاً وعميقاً في الخطاب الثقافي للمجتمعات المعاصرة، إذ أدى إلى نقاشٍ مستفيض حول دور المثقف ودور النخب الاجتماعية الثقافية في المجتمعات المعاصرة. إذ تتحدى النظرة المعاصرة لخطاب ما بعد الحداثة المفاهيمَ التقليدية للسلطة، كما تتحدى التعليم الحداثي والموضوعي، وتركز بدلاً من ذلك على تجزئة الواقع وذاتية التجربة. وقد دفع هذا البعضَ إلى القول بأن المثقف، كشخصية ذات سلطةٍ وخبرة، قد أصبح نموذجاً عفا عنه الزمن في عصر ما بعد الحداثة الذي أضحى يفكك كل النماذج. ووفقاً لهذه النظرة، فإن التصور الحداثي التقليدي للمثقف باعتباره مزوداً للحقائق الكليّة، وكممثلٍ لقيم المجتمع وضميره، لم يعد ممكناً في هذا العصر. إذ إنّ نقدَ مَا بَعد الحداثةِ للسرديات الكُبرى والحَقيقَةِ المَوضوعيةِ وأنماط السلطة يعني أن المثقف لم يعد يحمل نفس المستوى من الشرعية الاجتماعية التي لا جدال فيها كما حدث من ذي قبل، وهو ما يعني ضمناً أن النخبة ذاتها مُقوّضة المكانة، وأنّ دَورَهَا الاجتماعي قَدْ تزَعزَعَ. إذ يعني تركيز خطاب ما بعد الحداثة على التعدديةِ والتنوعِ والتجربة الذاتية بأنّه يجب على المثقفين العمل على دمج هذه المفاهيم في عملهم إذا هم أرادوا أن يظلوا على صلة بروح العصر ومتغيراته.

ومع ذلك، وبينما يقوّض نقد ما بعد الحداثة للسلطةِ الفكريةِ الدورَ التقليدي للمفكر، فقد أتاح أيضاً أشكالاً جديدة من المشاركة الفكرية وتداول الأفكار، خصوصاً مع ثورة التكنولوجيا. فيما أدت العولمة الثقافية إلى مخاطر تشويه القيم والهويات الثقافية في كل من الغرب الأوروبي والمشرق العربي، مما يعكس تحديات العالم المعولم الذي تتكسر فيه الحواجز الثقافية. في حين أن التبادل الثقافي والتلاقح الحضاري المتبادل يمكن أن يحققا فوائد كبيرة، إلا أنهما يمكن أن يؤديا أيضاً إلى ذوبان الهويات الثقافية وتمييع القيم والتقاليد للمجتمعات الأقل هيمنة كالمجتمعات العربية، ومجتمعات العالم الثالث. وبالمقابل، في الغرب الأوروبي، قد أدت ضغوط العولمة إلى تآكل القيم والهويات الثقافية التقليدية، حيث يتعرض الأفراد لتدفّقٍ مستمرٍ من المعلومات والمنتجات الإعلامية والمعلوماتية والقيم الثقافية العولمية. فيمكن أن يؤدي ذلك إلى الشعور بالتفكك الثقافي والارتباك، حيث يكافح الناس للتواصل مع تراثهم الثقافي وتقاليدهم، والتكيف مع قيم العصر الجديد.

منهج البحث

يتبنى البحث منهجي تحليل الثقافي والبنائي، حيث يقوم البحث من خلال المنهج الأول بتحليل المعطيات الثقافية وملامح البناء الثقافي المعاصر، والملامح الثقافية للمجتمعات المعاصرة، خصوصاً في المجتمعات العربية في مقابل المجتمعات الغربية، ثم يعمد البحث إلى تقديم قراءة بنائية للنظام الاجتماعية ودور المثقف والنخبة الثقافية في إطار الشروط التاريخية والثقافية.

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في إلقاء الضوء على علاقة النخبة بالمجتمع ومعالجة أزمة الهوية، وهي الأزمة التي تميز المرحلة الراهنة في المجتمعات المعاصرة، إذ تتراوح بين المقول الطبقي والثقافي والأيديولوجي وحتى الجندري في المجتمعات المعاصرة، في يبرز السؤال حول المَقول الثقافي والقيم الثقافية للنخبة والمثقف والجمهور كأبرز تجليات أزمة الهوية في المجتمعات العربية.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مكانة النخبة الثقافية ودور المثقف، وعلاقتهما بالجمهور، وعن مكانة المثقف وحدود إمكاناته ودوره في إطار النظام الثقافي وشبكة الأدوار الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة عموماً، والمجتمع العربي خصوصاً.

النتائج والمناقشة:

أولاً- النخبوية الثقافية، المفهوم والتصور الاجتماعي

تدخل النخب الثقافية حقبةً جديدة تحددها التطورات التكنولوجية والمعرفية، فَمَع تغيير التكنولوجيا لكيفية توصيلنا للمعلومات ونقلها، يفترض أن تسعى النخب الثقافية لإعادة رسم علاقتها مع الجمهور. وتتطلب هذه الحقبة الجديدة تحولاً نحو الانتقائية، بحيث يجب على النخب الثقافية اختيار المعلومات التي تنقلها وكيف تختار التفاعل مع الجمهور. ومن خلال كونها أكثر اصطفائية، يمكن للنخب الثقافية ضمان أن تظل ذات مصداقيةٍ أمام جمهورها وأن تكون مؤثرة في عصر يتميز بطوفان من المعلومات الحقيقية والكاذبة على السواء، والتي ترسم صورةً ذهنية مشوشة عن الوقائع. ومن أجل تبني النخب لهذا التحول بالكامل، من الضروري فهم الديناميكيات الجديدة للمشاركة العامة للمعلومات التي خلقتها هذه التحولات التكنولوجية. وباعتبار النخبة الثقافية الموجهة "نظرياً" لمسار وعي الجمهور، فإن لها دوراً حاسماً تلعبه في إعداد الأجيال القادمة في خضم تحولات هذا العصر الجديد حتى تصبح إمكانية اختيار المعلومات والمعارف جزءاً من تراثهم الثقافي، وهو ما يطلق عليه بالاصطفائية الفكرية، والتي تعني ((إقامة علاقات جديدة مع الحقيقة والحرية أو مع الثقافة والجماهير، فلا أحد يفكر عن غيره أو ينور غيره أو يحرر سواه. إذ الحقيقة ليست مجرد ما نقوله أو نعرفه أو نخبر به أو نبرهن عليه، وإنما هي ما ننشئه أو نصنعه، أو ما نراهن على تغييره من العلاقات مع الأشياء والأحداث والأفكار)). [1]

إن إحدى السمات الفريدة التي تميز النخب الثقافية عن النخب الاجتماعية والسياسية هي التمايز والانقسام الأيديولوجي. على عكس النخب الاجتماعية والسياسية التي غالباً ما يتم تحديد أدوارها ونفوذها من خلال ثروتها وسلطتها ومكانتها الاجتماعية، فإن أدوار النخب الثقافية وتأثيراتها تتشكل من خلال أفكارها وآرائها وانتماءاتها. وفي جوهرها، تنقسم النخب الثقافية على أساس الآراء والانتماءات التي ينتمي إليها المثقفون، ويضمن مثل هذا الانقسام بقاء النخبة الثقافية غير متجانسة ومتنوعة، مع وجهات نظر مختلفة حول القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية. ومع ذلك كله، يمكن أن يؤدي هذا التمايز الأيديولوجي أحياناً إلى الجدل واندلاع المناقشات في إطار نشاط النخب الثقافية نفسها. على الرغم من هذه الخلافات، ومن المهم الاعتراف بأن النخبة الثقافية تعمل كمصدر حاسم للتفكير النقدي والتعبير الأدبي والخطاب الفكري الذي يشكل مجتمعنا ويوفر منظوراً مختلفاً للقضايا التي تؤثر على المجتمع ككل، علماً أن هذا التنوع داخل النخبة ذاتها أمرٌ لا مفر منه عملياً، *فثمة خاصية مفادها أن النخبة المثقفة في معظم المجتمعات وفي أغلب الأوقات، هي أقل الصفوات انسجاماً وتكاملاً، وغالباً ما تكشف عن درجة كبيرة من التباين في الرأي حول المسائل الثقافية والسياسية. فمثلاً حتى لو انتمى أغلب المقفون–خصوصاً في حقبة مناهضة الكولينيالية– في الكثير من*

[1] **حرب، علي: أوهام النخبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2004، ص 55.**

المجتمعات إلى اليسار، فإن هذا الانتماء لا يشكل قاعدةً عامة تسمح لنا بالقول بأن المثقف يساري بطبيعته، ولا أدل على ذلك من الكثير من المثقفين في الوقت الحاضر، في أوروبا الغربية والولايات المتحدة ينتمون لليمين.[2]

في العصر الحديث، يعتبر دور النخبة الثقافية وتكوين المثقف مهمة حيوية لاكتساب مهارة تبادل المعرفة مع الجمهور. إذ تدرك النخب الثقافية أنه بدون هذا التبادل، فإنهم يخاطرون بالانفصال عن الجمهور. فالثقافة بطبيعتها صناعة للحضارة، فهي تعمل كوسيلة لتشكيل الهياكل الاجتماعية التي تدعم التنمية الفكرية والاقتصادية والمؤسسية. إذ إن المثقف الذي يعزل نفسه عن المجتمع يؤدي إلى تعطيل العمل الثقافي ودوره كمثقف، مما يسلط الضوء على أهمية تشابك المثقف مع المجتمع. لا يمكن افتراض نموذج المثقف العاطل عن العمل أو الإنتاج أو اهتمامات المجتمع؛ وإلا فإنه يصبح عبئاً وعاملاً في تخلف المجتمع. وبالتالي، يفترض بالنخب الثقافية أن تدرك أهمية تبادل المعرفة مع الجمهور لدعم الصناعة الثقافية، ومن ثمّ المساعدة في ضمان استمرار التقدم الفكري والمجتمعي، فيقع على عاتق النخبة الثقافية إنشاء وتكوين هوية وشخصية المثقف في العصر الحديث والاعتراف بأهمية تبادل المعرفة مع الجمهور، وهنا تبرز مسألة أساسية مفادها أن الجمهور أصبح يشاطر المثقف في مكانته، كصانع للمعرفة وحامل للثقافة. فوجود المثقف، ((لا يعني بأن الفرد من سواد الناس أو من الجمهور الأعظم، أو ممن لا يعملون في حقول الإنتاج الثقافي أو في ميادين العمل الفكري، يعرى من صفة الثقافة، إذ الثقافة، بمعناها الأشمل، هي صناعة الحياة، والاشتغال على الطبيعة، وشكل من أشكال التواصل والتبادل. وبهذا المعنى لا إنسان بلا ثقافة، [سواء] أكان من أهل العمل الفكري أم من أصحاب العمل اليدوي، لأنه لا إنسان أصلاً بلا فكر. وربما لا يكون التواصل بين " المثقفين" أحسن حالاً من التواصل بين " غير المثقفين" وتلك هي المفارقة، فإدعاء الثقافة، أي الانتماء إلى النخبة المثقفة، قد يكون على حسابها، ويشكل وجهاً من وجوه أزمتها)).[3]

تعمل الثقافة نفسها كصناعة للحضارة، ولا تدعم التنمية الفكرية وحسب، بل تدعم أيضاً النمو الاقتصادي والمؤسسي، مما يؤدي في النهاية إلى تكوين هياكل اجتماعية تدعم التقدم المجتمعي. والعزلة عن المجتمع، في هذا السياق، تعطل العمل الثقافي بمعناه التطوري والتنموي وتؤثر على دور المثقف ومكانته. لذلك، يجب على المثقف ألا يعزل نفسه عن المجتمع، بما في ذلك الطبقات المختلفة داخل المجتمع. فالمثقفون العاطلون عن العمل الذين ليس لديهم عمل أو إنتاج أو اهتمامات بالمجتمع يصبحون عبئاً، ويساهمون في تخلف المجتمع. ومن نافل القول إنه يتوجب على النخبة الثقافية والمفكرين على حد سواء أن يظلوا منخرطين مع الجمهور، مدركين أن العزلة تهدد أدوارهم في المجتمع والتقدم الفكري، وتهدد تصورات الهوية في المجتمع، *فالدعوة التي تنعقد بين الفئات الفكرية المختلفة تُجْمع على عاملَيْن أساسيَّين في تكوين فاعلية المثقف: حرّيّته، وشراكته في تكوين الرأي العامّ. وعندما تتحوّل سلطة مؤسسات المجتمع إلى سلسلة من النواهي والضوابط والكوابح لصدّه أو تحجيمه، فإنها تفقده دوره ومكانته، وتودعه في قوالبها الخاصة، فيغدو غير قادر على المشاركة في تنمية أفكاره أو نشرها. ومثل هؤلاء هم المثقَّفون الذين يُصار إلى توجيههم للكتابة أو الردّ أو المناقشة؛ وفكلٌّ توجيه هو مصادرة للرأي واستهانة بالضمير الثقافيّ.*[4]

---

[2] **بوتمور. الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988، ص92.**

[3] **حرب، علي: أوهام النخبة، مرجع سابق، ص 38-39.**

[4] **الموسوي، محسن. النخبة الفكرية والانشقاق- تحولات الصفوة العارفة في المجتمع العربي الحديث، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2015، ص 154-155.**

كما يتطلب تكوين النخب الثقافية الطبيعية الاعترافَ بها كجزء طبيعي من الحركة الاجتماعية وإيلاءها اهتماماً اجتماعياً، ووجود أنماط ومعايير اجتماعية تضمن مستوى معيناً من الحرية الفكرية. وتواجه النخب في العالم الثالث، وخاصة في المجتمعات العربية، قضية الاغتراب الثقافي، وهو تحد مشترك وعائق لحركة التحوّل الاجتماعي. يشير الاغتراب إلى الانفصال الفكري والثقافي بين النخب والجمهور الأوسع، مما يخلق فراغاً في التنمية الثقافية والاجتماعية. ويتطلب التغلب على هذا الانفصال نهجاً اجتماعياً يعزز استراتيجية تعزز الانسجام الثقافي، وتفسح المجال للنمو والإبداع. إن دور التعليم في تطوير ورعاية هذه النخب الثقافية أمر بالغ الأهمية أيضاً، لأنه يمكن أن يوفر الوسائل لتقدير الثقافات والأعراف الاجتماعية، ومعالجة الاختلافات، وتعزيز الوحدة. لذلك، يمكن للاستثمارات في هذه النظم والهياكل الاجتماعية أن تنشئ طبقات جديدة ونابضة بالحياة ومسؤولة اجتماعياً من النخب الثقافية التي تستجيب لاحتياجات الأعراف والقيم الاجتماعية الأوسع، ذلك أن الاعتراف بدور النخب الثقافية في المجتمع واحتضان التنوع الثقافي لا يمكن إلا أن يعزز الإبداع والتعاون الاجتماعي، ويفيد جميع أفراد المجتمع، وبهذا تكون الفكرة التالية، *إذ تتآكل النخب كلّما ضاقت الحياة والأجواء، والتحمتْ إرادة القوى المهيمنة بفئاتها المتنوعة، وخصوصاً الرأسمال الطفيلي. وتنضب الخيارات في مثل هذا الواقع: بين اعتزال وتباعد، وكفرٍ بالماضي، وانطواء على الذكريات الماضية، وانتهاءً بالهجرة بحثاً عن عالم بديل يتيح استكمال مهمّة المثقف، ليستحيل في النهاية إنبات الثقافة في غير تربتها الأصلية. أما الذين يعتزلون في الداخل فإنّ سلطة الهيمنة الاجتماعية تُبقيهم تحت عدسة المتابعة، لتضيق عليهم النظم الاجتماعية. والحل يكون بانكشاف زيف الأفكار الشعاراتية والمثالية التي تبثها المؤسسات الاجتماعية المهيمنة ثقافياً امام سلطة القانون والمؤسسات الدستورية*.[5]

في الواقع فإن مصطلح النخبة ليس ثابتاً في الدلالة حقاً، فيفترض تشكيل النخب تغييرات تاريخيةً متكررة داخل تكوينها. وعلى مر التاريخ، خضعت النخب لتغييرات كبيرة، مع تحول الأعضاء وتغير المواقف بمرور الوقت وفقاً لمفهوم باريتو لدورة النخب. وتجادل هذه النظرية بأن النخب هي في المقام الأول ظاهرة اجتماعية تظهر من أنظمة ومؤسسات اجتماعية متمايزة. وتعني فكرة دورة النخب أن المجتمع يخضع حتماً لتغييرات متسقة ومتواترة في قيادته الاجتماعية ومراكز صنع القرار الاجتماعي، مع ظهور نخب جديدة تنافس النخب القديمة. تلعب النخب دوراً حاسماً في المجتمع، حيث تحدد مكانها وتضطلع بأدوار محددة بما يتماشى مع التوقعات المجتمعية. فالمجتمع، بدوره، يحدد أيضاً أدوار الطبقات الأخرى، بما في ذلك النخب. هذه الأدوار والأنظمة الاجتماعية التي تحددها تساهم في النهاية في النظام الاجتماعي والاستقرار والتقدم. لذلك، يظل الخطاب بين النخب والمجتمع الأوسع ضرورياً للحفاظ على الانسجام الاجتماعي والتقدم، حيث يحدد كل جانب نفسه ويعيد تعريفه لتلبية التوقعات والمعايير المجتمعية الحالية. ومن خلال فهم دور النخب في المجتمع والحفاظ على دورة مستقرة للنخب، يمكن ضمان التقدم الاجتماعي، *وقد ذهب إليوت T.S Eliot في مؤلفه: **ملاحظات حول تعريف الثقافة** إلى تقرير فكرة مماثلة؛ فتتطلب النخب دورة منتظمة لأعضائها لا تقوى على تأكيد الاستمرار الاجتماعي بنفس الطريقة التي كانت الطبقات الحاكمة القديمة تستطيع أن تفعلها. ومع ذلك، فإن منظري النخبة يبالغون إذ لا توجد في الوقت الحاضر أية دورة ملموسة للأفراد بين النخب وبقية أعضاء المجتمع. كما أن الصفوات لا تنشغل في صراع حقيقي مع بعضها البعض. وبذات السياق اعتقد آرون في مناقشاته المجتمعية أن بناء الصفوة الحاكمة قد يشهد تعديلا تقدميا، إذ قد تتغير الأهمية النسبية لجماعات النخبة، لكن المجتمع يستطيع*

[5] **المرجع السابق، ص 161.**

الاستمرار والازدهار فقط إذ كان هناك تعاون حقيقي بين هذه الجماعات. ولا بد – بطريقة أو بأخرى – من وجود وحدة رأي وعمل فيما يتعلق بالمسائل الرئيسية المتعلقة بالنخبة. والواقع أن وحدة الرأي والإنتاج قد تأكدت إلى حد بعيد في المجتمعات الغربية من خلال تكوين النخب او الصفوات من أعضاء الطبقة العليا في المجتمع، والتدعيم الإيديولوجي لنظرية النخبة ذاتها.[6]

وعلى مر التاريخ، شغلت النخب الثقافية في كثير من الأحيان أدواراً ثقافية واجتماعية تتجاوز قدراتها. في حين لعبت النخب الثقافية دوراً تاريخياً عميقاً في تحفيز التغيير الاجتماعي، فقد تأثرت أيضاً بالتغيرات الاجتماعية نفسها، حيث لم يتم إحداث جميع التغييرات من قبل النخب الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية. فالنخب الاجتماعية لا تولد تغييرات اجتماعية بالضرورة؛ وفي أفضل الحالات، فإنها تقود وتوجه مثل هذه التغييرات، بينما قد تكتفي النخب في حالات أخرى بمراقبة واستقراء التغييرات الاجتماعية القادمة. لذلك، يتمثل دور النخب الاجتماعية في التأثير على التغييرات المجتمعية وتوجيهها نحو التحولات الإيجابية التي تفيد جميع قطاعات المجتمع. ومع ذلك، كثيراً ما تكتفي النخب الثقافية والاجتماعية بالبقاء داخل أبراجها العاجية مكتفية بالراحة والتأمل، فتفشل في تحدي طبيعتها التقليدية الراسخة واحتضان التغييرات التي تعود بالفائدة على المجتمع. بدلاً من ذلك، قد تتبنى النخب التقدمية نهجاً تفاعلياً يعكس التغييرات التي تحدث من حولها، بدلاً من بدء تغييرات استباقية تدفع التقدم المجتمعي. وبالتالي، ولكي تحافظ النخب الثقافية على مواقعها وأهميتها المجتمعية، فإنها ستحتاج إلى النظر إلى ما وراء مواقفها المريحة واغتنام فرص التغيير الإيجابي التي توفرها التطورات الاجتماعية. من خلال القيام بذلك، إذ يمكنها قيادة وتوجيه التغييرات الاجتماعية القادمة نحو نتائج أفضل، وبالتالي تشكيل وخلق مستقبل أفضل للجميع، وذلك بدلاً من التحزّب والتناحر والصراعات الايديولوجية المنفصلة عن حاجات المجتمع، فيوجّه علي حرب أسهم نقده إلى مثل هؤلاء المتعصبين أيديولوجياً، *فمآل النخبوية الفكرية والتحزب الفكري في العمل التاريخي والتغيير الاجتماعي، أي الذين يعتقدون أن مهمتهم هي التفكير عن الناس والعمل على توعيتهم وتحريرهم، أحد أمرين، إما التسلط والاستبداد في الرأي والفعل، أو الفشل والهزيمة أمام قوة الجموع، فالفرد أو المجموع الذي نفكر أو نقرر عنه، من السهل استخدامه، إذ هو لا يحتاج إلا إلى قرار القيادة أو بيان الحزب أو فتوى المرشد. ولكن للأمر وجهه الآخر. فمن يسهل استخدامه، يسهل أيضاً تحويله وجعله ينقلب عن هدفه ونقله من موقع إلى آخر، أو من استراتيجية إلى أخرى. فالجماهير برأي حرب لطالما وقفت أو انقلبت على الذين يدعون العمل على تنويرها أو تحريرها أو توحيد صفوفها. وهذا هو مأزق المثقف " التقدمي" بنوع خاص: مازال يتعيش من الكلام على مصالح الجماهير، فيما الجماهير تعبأ ضد مشاريعه وشعاراته. إنه مأزق النخبة، فيما تدعيه أو تدعو إليه، فهي لا تحسن سوى تقويض المهام التي تندب نفسها لتأديتها .* [7]

تمر المجتمعات المعاصرة حالياً بحالة من أزمة الهوية، لا سيما فيما يتعلق بالهوية الثقافية. وقد ساهم ظهور هويات ثقافية جديدة، إلى جانب التغييرات في الثقافة الجنسانية في المجتمعات الغربية، في أزمة الهوية هذه. فقد أدت هذه الأزمة إلى اضطرابات في سلوك المؤسسات الاجتماعية والثقافية، مما أثر على كيفية تفاعل الناس مع بعضهم البعض. ولم يعد كافيا الاعتماد على القيم والأعراف الثقافية التقليدية. إذ يتم تحدي الأدوار والهويات التقليدية، مما يسبب القلق والارتباك لأولئك المرتبطين بها والممتثلين للأدوار التقليدية. وتكافح المؤسسات الاجتماعية مثل المدارس

[6] **بوتمور. الصفوة والمجتمع، مصدر سابق، ص136.**

[7] **حرب، علي: أوهام النخبة، مرجع سابق، ص 52– 53.**

والمجموعات الدينية، والجماعات الإثنية والعرقية بمختلف ثقافاتها، لمواكبة هذه التغييرات السريعة. لذلك أصبحت الحاجة إلى معالجة أزمة الهوية الثقافية هذه ذات أهمية قصوى. وهناك عدة استراتيجيات متاحة لمعالجة هذه المشكلة، بما في ذلك تشجيع الحوار بين الثقافات، والتأكيد على التنوع الثقافي، والاعتراف بدور الهوية الثقافية في تشكيل مجتمعاتنا. إن الاعتراف بتعقيد التنوع الثقافي وتبنيه سيعزز المزيد من التفاهم والتعاطف بين الناس، ويمنع الاضطرابات ويقلل من التغيرات السلوكية غير المرغوبة. من خلال العمل التعاوني لمعالجة أزمة الهوية هذه، يمكن إنشاء مجتمعات أكثر استقراراً وشمولية وانسجاماً، حيث يشعر الأفراد بالتقدير والاحترام بغض النظر عن خلفيتهم الثقافية، فتغيرات المجتمعات المعاصرة، وتأثير الإعلام العولمي وتحول الفكر الإيديولوجي قد فرضت تحديات ثقافية على المجتمعات المعاصرة، *وتتجلى هذه التحديات بحركات اجتماعية ، وترى مي العبد الله بأن أزمة الهوية في المجتمع تتبلور حين تتحول إلى حركات سياسية واجتماعية احتجاجية، وبينما استطاعت المجتمعات الرأسمالية، بمقدرة فذة، احتواء حركات الاحتجاج الراديكالية وتحويلها إلى حركات ثقافية فإن في المجتمعات الاشتراكية فقد كان هناك احتواء قهري لهذه الحركات.*[8]

تتميز المجتمعات المعاصرة كما هو بيّن باختلافات ثقافية، مما يخلق مشهداً ثقافياً متنوعاً ومعقداً. ومع ظهور التكنولوجيا، تتدفق المعلومات بسهولة عبر شبكات مختلفة، مما ييسر الاتصال بين الثقافات المختلفة. ونتيجة لذلك، فإن الاتصال الثقافي في المجتمعات المعاصرة متكرر ومتنوع ومستمر، ويحفز التغيير والنمو الثقافيين. ومع ذلك، فإن هذا الاتصال الثقافي يطرح أيضاً تحديات، حيث قد تتصادم الثقافات المختلفة وتتضارب بسبب الممارسات والأعراف والمعتقدات الثقافية المختلفة. وعلى الرغم من هذه التحديات، أدى الاتصال الثقافي إلى ظهور بُعدٍ جديدٍ حيث وجدت النخب مكاناً مهماً في سياق النمط الثقافي في المجتمع. تمتلك النخب، بتأثيرها، من خلال القدرة على تشكيل وقيادة التحولات الثقافية والسعي للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي مع تعزيز الابتكار الثقافي. ومع الاتصال بين الثقافات تظهر حاجة أكبر لفهم واحترام الاختلافات الثقافية. إذ تضطلع النخب بدور أساسي في تيسير التواصل والتعاون بين الثقافات لتعزيز التفاهم المتبادل بين مختلف الثقافات. من خلال تبني الاختلافات الثقافية وتقدير التنوع، إذ يمكننا إنشاء مجتمع أكثر شمولاً وانسجاماً يحتفل بثروته الثقافية، *فكما يذهب إليوت هناك في كل مجتمع كبير ... مستويات مختلفة من الثقافة، إذ إن ارتباط هذه المستويات المختلفة فيما بينها دليل على سلامة المجتمع. غير أنه يصر في الوقت نفسه على ضرورة تمييز هذه المستويات في الوقت الذي تخضع فيه لتأثير أعلى مستويات الثقافة. ومن الممكن أن يحدث ذلك حينما توجد طبقة عليا مؤلفة من أسر تستطيع الحفاظ على أسلوب معين في الحياة لأجيال عديدة. وبرغم ذلك نجد إليوت يعترف بأن وجود طبقة عليا لا يضمن في حد ذاته وجود مستوى عال من الثقافة، فظروف الثقافة لا تؤدي بالضرورة إلى وجود حضارة راقية، بل إنه حينما تختفي هذه الظروف، فإن الحضارة الراقية لا تميل إلى الظهور.*[9]

غالباً ما تؤدي التصورات الأيديولوجية التي تدعو إليها النخب الثقافية بأيديولوجياتها المختلفة إلى الانفصال بين النظرية والممارسة. إذ لا تتماشى تصورات النخب الطوباوية دائماً مع الحقائق العملية للمجتمع، مما يؤدي إلى تناقض بين ما هو متصور وما يمكن تنفيذه. لا يرجع التناقض بين النظرية والممارسة بالضرورة إلى الجهل بالحقائق العملية، بل إلى القيود المتأصلة في الأيديولوجية. فالتصورات الطوباوية أو المثالية هي نفسها ذاتية وغالباً ما لا تفسر الاعتبارات

[8] **العبد الله، مي. الاتصال في الشرق الاوسط والانهيار الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2015، ص 98.**

[9] **بوتمور. الصفوة والمجتمع، مصدر سابق، 1988، ص136.**

العملية المختلفة، مثل قيود الموارد أو المصالح المتنافسة. وبالتالي، فإن التصورات الطوباوية المنشودة قد لا تجد طريقة أو إمكانية للتحقيق، مما يؤدي إلى الإحباط وخيبة الأمل لمن لديهم الرؤية الطوباوية. إضافة إلى ما سبق، فقد يكون لهذه التصورات الطوباوية أيضاً عواقب غير مرصودة على المجتمع الأوسع، مما يؤدي إلى اضطراب اجتماعي، أو تقويض المؤسسات الاجتماعية. وعلى هذا النحو، فإن دور النخب في تعزيز التصورات الأيديولوجية يتطلب النظر عن كثب في الحقائق العملية والاستعداد للتعامل مع تعقيدات المجتمع ما بعد الحداثي. فالموازنة بين الأهداف المثالية والاعتبارات العملية أمر أساسي للحفاظ على أهمية وشرعية النخب الثقافية. فالفجوة بين الرؤية المثالية والواقع ليست عيباً في الرؤية الأيديولوجية، بل هي سمة متأصلة في التوتر بين المثل العليا والجوانب العملية، خصوصاً في التناقض بين الخطاب المساواة والنخب الحاملة له، كما أن أفكار العدالة والمساواة والقيم الثقافية الحضارية الراسخة لا ترتبط بالضرورة بالمؤسسات الاجتماعية الطبيعية وحسب، *ونتفق مع رؤية بوتيمور، بكوننا لا نعرف على وجه اليقين أسلوب الحياة الذي سيفرضه المجتمع القائم على المساواة المطلقة كما أننا لا نستطيع في الوقت الحاضر إلا أن نخمّن إمكانية قدرة هذا المجتمع على خلق مستوى عال من الثقافة والمحافظة عليه بعد ذلك. أن الإبداع عمل فردي، ولا يمكن له أن يظهر إل حيز الوجود إلا بفضل حماس المجتمع له وتدعيمه إياه. ومن الممكن القول إن مجتمع «المساواة» – الذي يحصل فيه الأفراد على أوقات فراغ كافية وحث دائم على تنمية مواهبهم وقدراتهم – يعد مجتمعاً خلاقاً ... ومن الواضح أن فكرة الحافظة على المستويات الأعلى من الثقافة ثم إنتقالها عبر الأجيال لا تتسق مع الدور الذي يمكن أن تلعبه الأسرة في هذا لمجال. فالتاريخ يشهد على أن هناك جماعات اجتماعية أخرى عديدة (مثل الهيئات الدينية والمدارس الفلسفية) قد لعبت دوراً هاماً في إنتقال الثقافة لايقل بحال من الأحوال عن الدور الذي لعبته الأسرة.*[10]

تلعب النخب الثقافية دوراً مهماً في المجتمع الحديث، لكن الوفاء بهذا الدور يتطلب نمطاً محدداً من الحرية والتنظيم وإضفاء الطابع المؤسسي. في حالتها الطبيعية والصحية، تتطلب النخب الثقافية حرية الفكر والتعبير، بينما تحتاج أيضاً إلى تنظيم لمنع إساءة استخدام النفوذ. ويوفر إضفاء الطابع المؤسسي الهياكل التي يمكن للنخب الثقافية من خلالها إنتاج ونشر أعمالها، والتي يمكن للمجتمع من خلالها الوصول إلى هذا العمل. وبالإضافة إلى هذه المتطلبات، يتطلب الاتجاه التقدمي في المجتمع الحديث دورا نشطا من جانب المفكرين. يجب على هؤلاء الأفراد، الذين تم تمكينهم بالثقافة والفكر والإنتاج العلمي، استخدام تأثيرهم لتوجيه المجتمع في اتجاه إيجابي. عندما تنفر النخب الثقافية من مجتمعها، فإنها تفقد قدرتها على أداء هذا الدور. يمكن أن يؤدي الاغتراب إلى إنتاج ثقافي منفصل عن احتياجات المجتمع، وعدم وجود وعي عام بالثقافة الإنتاجية داخل بنية المجتمع بشكل عام. يمكن أن يؤدي هذا الافتقار إلى الوعي بعد ذلك إلى استجابة ضعيفة من المجتمع للمساهمات الثقافية والفكرية. وبالتالي، فإن دور النخب الثقافية في المجتمع الحديث وما بعد الحديث هو تحقيق توازن دقيق بين الحرية والتنظيم وإضفاء الطابع المؤسسي والمشاركة الاجتماعية. فقط عندما يتم تحقيق هذا التوازن، يمكن للنخب الثقافية أن تؤدي دورها الضروري في تشكيل الثقافة الحديثة، ولهذا كله لا بد لطبقات المجتمع المختلفة والمتفاوتة من الحصول على مساحة لتداول المعرفة وبناء الوعي، ولا بد للنخب الثقافية من الحصول على هامش من الحرية في الإنتاج الفكري والمعرفي، *إذ إن النخبة الثقافية لا تحيا خارج فضاء الحرّيّة، وفعل القانون المتّسع للتعدُّد. بل إن النخب المقيدة أو حتى المنبوذة تنصرف عن البناء إلى العاطفة المضطربة، في محاولة لاستعادة ذاتها، ساعيةً إلى تأسيسات للوطن الأصل ولتمثُّلاته، دون أن تحقق ذلك. وغالباً ما تأخذ هذه التأسيسات شكلاً كتابياً*

[10] **المصدر السابق، ص156.**

له مواصفات، كآليات متشِنّجة حادّة، تعبيراً عن ذات مضطربة تشخص نفسها من خلال الألم بدل الإنتاج والبناء في المجتمع.[11]

تعمل نظرية النخبة على افتراض أن التفاوت الاجتماعي ضروري، وبالتالي فإن وجود تفاوت ثقافي داخلها هو نتيجة منطقية. وفقاً لهذه النظرية، تبني النخب الثقافية فهمها للعالم من حولها على أساس مبدأ أساسي لعدم المساواة الطبقية. في الواقع، تفترض فكرة النخبة نفسها تسلسلاً هرمياً يضع أولئك الذين يتمتعون بقوة وتأثير أكبر فوق الجماهير التي يخدمونها. على الرغم من ادعاءات بعض النخب بدعم المساواة، فإن صورتهم الذاتية كممثلين لأقلية النخبة تضعهم في طليعة المجتمع، وينظرون إلى الجماهير ويوجهون توجهاتها. هذه الديناميكية تثبت وجود التفاوت الاجتماعي، حيث تحافظ النخبة على قوتها من خلال التلاعب بالثقافة لتناسب مصالحها. وبهذه الطريقة، تصبح الثقافة أداة للحفاظ على النظام الاجتماعي، حيث تعمل النخب كحراس للثقافة العالية والدنيا. ومع ذلك، فإن هذا النموذج لا يخلو من الانتقاد، حيث يشكك الكثيرون في المبادئ الأساسية لنظرية النخبة. ويرى البعض أن الديمقراطية هي السبيل الوحيد لضمان المساواة الثقافية والاجتماعية، حيث لا مصالحة مع فكرة النخبة، مع التمثيل المباشر وصنع القرار القائم على المشاركة بوصفهما حجر الزاوية في المجتمع القائم على المساواة، *فأصحاب نظرية النخبة قد حاولوا الدفاع باستماته عن التفاوت الإجتماعي في مجتمعات تاريخية معينة في الوقت الذي ضحوا فيه بروح المساواة ذاتها. لقد أصروا بقوة على تفرقة مطلقة بين الحكام والمحكومين. وهي تفرقة تكاد تأخذ شكل قانون علمي، ولكنهم حاولوا في الوقت عينه التوفيق بين الديموقراطية من ناحية، والتفرقة بين الحكام والمحكومين من ناحية أخرى، بتبني فكرة المنافسة بين النخب، ثم يقبلون ويبررون فكرة تقسيم المجمع إلى طبقات في الوقت الذي ينظرون فيه إلى الطبقات العليا بوصفها مكونة من نخب مؤلفة من أكفأ أفراد المجتمع وأقدرهم على الإنجاز بغض النظار عن أصولهم الاجتماعية وهم بذلك يحاولون استبدال فكرة المساواة بفكرة تكافؤ الفرص، ...*[12]

وبالعودة إلى جذور مصطلح النخبة بمعناه الحديث، فقد نشأ نشأة أوروبية، لكن ظاهرة النخبة قديمة قدم التاريخ نفسه. ففي الفكر اليوناني القديم، بلور أفلاطون وأرسطو فكرة الطبقة الفكرية والاجتماعية والسياسية، والتي لا تزال موجودة حتى يومنا هذا. بينما ظل المفهوم فكرة مجردة عبر التاريخ، فقد أصبح موضوعاً للدراسات الاجتماعية في العصر الحديث. ومع ذلك، فإن فكرة النخبة لها صدى قوي أيضاً في الفكر الإسلامي، خاصة في العصور الوسطى. عندما كان للحضارة الإسلامية مصطلحاتها الخاصة التي تضمنت مصطلحي «الخاصة» و «العامة»، مما ساعد على تعريف وتقنين طبقة النخبة داخل المجتمع. ولا تزال هذه الفكرة سائدة في الفكر العربي المعاصر، الذي يحرص على استعادة التراث وتقدير المعرفة المعرفة القديمة في كثير من جوانبه. وعلى مر التاريخ العربي، لعبت النخبة دوراً حاسماً في تشكيل مسار مجتمعاتها، *وإذا نزعنا مصطلح النخبة من سياقه التاريخي المرتبط بتحليل واقع النظم السياسية الديمقراطية، وتعاملنا معه كرديف للقلة الحاكمة المتميزة عن الكثرة المحكومة، فقد عرف الفكر السياسي عند المفكرين المسلمين ما يدل على وجود نخبة سياسية تتميز عن الل نخبة، ونقصد أن مفهوم الخاصة قد عبّر عن أبعادٍ سياسية. فكثير من علماء الإسلام وخصوصا من المعتزلة يتفقون على وجوب التمييز ما بين الخاصة والعامة، وان تقلد مناصب القيادة وخصوصا الإمامة ومن يحق له اختيار الإمام إنما هو أمر يعود إلى الخاصة وليس العامة، لقصور العامة عن*

---

[11] **الموسوي، محسن. النخبة الفكرية والانشقاق مرجع سابق، ص 162.**

[12] **بوتمور. الصفوة والمجتمع، مصدر سابق، ص157.**

الفهم السليم للمتطلبات العظام لشؤون قيادة الأمة، فقد دافع الجاحظ عن أحقية الخاصة بالتفرد بأمور الحكم دون العامة، وهو يعتبر ذلك نوعا من تقسيم العمل الذي يقوم على الرأي والفكر والمعرفة لا على أساس التمايز الطبقي أو العرقي.[13]

وقد نشأ مصطلح النخبة في الفكر الغربي الحديث، في ظل الظروف التي سبقت الحرب العالمية الأولى. خلال هذا الوقت، ظهرت مشاكل اقتصادية، مما شكل عقبة كبيرة أمام استقرار المجتمع. كما لعبت الحقبة الاستعمارية دوراً مهماً في ظهور المفهوم النخبوي، حيث كانت استنتاجاته بمثابة حقبة صراع بين النخب ذات الجذور النبيلة والجماعات الرأسمالية الناشئة بقوة الثورة الصناعية، والتي شكلت نخباً بديلة. أصبح هذا النضال ظاهراً بشكل متزايد، وشقّ طريقه إلى الساحات المنافسة الديمقراطية التي شكلت الصورة المعاصرة للنخب التي نراها اليوم. ومع ذلك، فإن الصورة المعاصرة للنخب لم تتضح بعد بشكل كامل، مع استمرار الصراع بين النخب القديمة والرأسمالية والنخب الأقلوية والأثرياء الجدد والمثقفون الجدد. ففي العصر الراهن، يكوّن مصطلح النخبة مرادفاً للسلطة والنفوذ والثروة في العديد من المجتمعات، حيث يحمل الكثيرون فكرة أن النخبة بطبيعتها هي مجموعة تخدم مصالحها الذاتية وتستغل من هم تحتها. في حين أن هذا قد يكون صحيحاً من بعض الوجوه، فلا يمكن للمرء أن يعمم هذا مبدأً لآليات عمل النخبة. فمفهوم النخبة موجود في كل من الدول الديمقراطية والملكية، والجمهورية، وذلك في المجتمعات الصناعية والزراعية على السواء، ويستمر في التطور مع مرور الوقت، اعتماداً على الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وحاجة المجتمع، والديناميكيات الداخلية للمجتمعات المعاصرة، إذ إن ((نظرية النخبة مقترنة بالنظم الديمقراطية المأزومة أو هي أحد أوجه التطبيق المعاصر للديمقراطية التي انسلخت عن مدلولاتها الأولى حيث أن الديمقراطية أصبحت تعني حق مراقبة الحاكمين أكثر مما تعني حق كل مواطن في المشاركة في السلطة أي "حكم الشعب بالشعب")).[14]

يعبر مفهوم النخبة، سواء كنظرية أو مصطلح أو تصور، عن الطبيعة التنافسية للمجتمع في شكله الصراعي. وتنطبق هذه الطبيعة التنافسية أيضاً على النخبة الثقافية، التي غالباً ما تنخرط في صراع من أجل الهيمنة في المجالات الفنية والأدبية والفكرية. فالنخبوية في جوهرها هي اتجاه يسعى دائماً إلى أن يكون مهيمناً ويمكن أن ينجرف بسهولة نحو الهيمنة والانشغال الأيديولوجي. على الرغم من أن النخب الثقافية قد لا تحمل جميعها مثل هذه النوايا، إلا أن ديناميكية المنافسة والرغبة في التفوق يمكن أن تؤدي أحياناً إلى توزيع غير عادل وغير متماثل للموارد والمزايا والفرص. فعندما تصبح النخبة مهيمنة، فإنها تؤدي إلى استبعاد وتهميش أولئك الذين لا يتناسبون مع المعايير النخبوية، وتجاهل وجود أصوات وثقافات ووجهات نظر مختلفة. فيؤثر الاتجاه نحو النخبوية أيضاً على طريقة هيكلة المجتمع، مما يعطي توزيعاً غير متكافئ للسلطة والموارد للقلة على حساب الكثيرين. من المهم أن ندرك أن المجتمع السليم يسمح بالتعبير الحر عن وجهات نظر متنوعة، وليس فقط وجهات نظر النخبة، إذ إن النخبوية ظاهرة معقدة ومتعددة الأوجه تتطلب دراسة متأنية واستعداداً للنظر إلى ما وراء السطح لضمان سماع جميع الأصوات وإدماجها في المجتمع.

ثانياً– النخبة بين الصراع والتغير الاجتماعي

يمكن إرجاع أصل النموذج المعاصر للنخب الاجتماعية والثقافية إلى المجتمع الرأسمالي، الذي يتميز بقوة ونفوذ البرجوازية. ففي النموذج الرأسمالي، تتكون النخبة من أولئك الذين يمتلكون غالبية الثروة والموارد والسلطة، مما يمنحهم

[13] **أبراش، ابراهيم. علم الاجتماع السياسي، يو للكتب، لندن، طبعة جديدة، 2011، ص 70.**

[14] **المرجع السابق، ص 66.**

مكانة متميزة في المجتمع. وفي مقابل هذا النموذج ظهر النموذج الاشتراكي، الذي قدم مفهوم المثقف العضوي، كما صاغه الفيلسوف الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي. فقد مثّل المثقف العضوي مثقفاً يتعارض مع النخبة الثقافية التقليدية، التي خرجت تلقائياً من الصراع الطبقي، وكانت مرتبطة بالجماهير. ومع ذلك، تحولت النخبة في المجتمع الشيوعي السوفيتي في النهاية إلى مجموعة بيروقراطية لم تكن قادرة على الاستمرار في قيادة التغيير الاجتماعي. يُنظر إلى هذا على نطاق واسع على أنه أحد الأسباب التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفيتي. من ناحية أخرى، نجحت النخب في المجتمعات الرأسمالية في إعادة صياغة أدواتها وأفكارها وأيديولوجياتها للحفاظ على سلطتها وسيطرتها على الثقافة. إن ظهور نماذج بديلة للسلطة، لا سيما تلك الخاصة بالأيديولوجيات الاشتراكية والديمقراطية، قد تحدى هيمنة النخب الرأسمالية، وفتح إمكانية تحقيق نماذج بديلة للتنظيم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. يشير هذا إلى أن مفهوم النخبة ديناميكي، ويجب أن يخضع باستمرار للتحول استجابة للظروف الاجتماعية والسياسية المتغيرة والتهديدات المتزايدة لقوتها المهيمنة، ومع ذلك فإن أدبيات الفكر الرأسمالي، التي تسمح بالتنمية والسيطرة والهيمنة الأيديولوجية على الثقافة، هي دليل على هذه القدرة على تجديد الفكر النخبوي الرأسمالي، وفي واقع الحال فإن التحليل الماركسي التقليدي لتطور الرأسمالية قد نجح باستشراف الصراع الداخلي في قلب المجتمع الرأسمالي، لكنه أخفق بالمحصلة في استشراف مستقبل الرأسمالية بدقة، إذ توقعت الماركسية ((أن تطور الرأسمالية سيصاحبه استقطاب للطبقتين الأساسيتين وهما البرجوازية والطبقة العاملة الصناعية، وأن الحكم الذي ستمارسه البرجوازية سيكون حكماً سافراً يتصف بقدر كبير من الكبح. على أن ما ذهب إليه ماركس لم يتحقق في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة: فأشكال القوة المختلفة تميل إلى اتخاذ شكل محدد مميز، ومصادر القوة ذاتها تبدو عديدة ومتنوعة، والتعارض بين الطبقتين الأساسيتين خفت حدته بظهور طبقات وسطى جديدة وتبلور تباين مهني معقد، فضلاً عن تبني حكم سياسي بميل قدر استطاعته إلى الاعتدال وتفادي الكبح المباشر. ولقد كان أحد العناصر الحاكمة في هذا التطور، إدخال حق الانتخاب العام الذي يتضمن من حيث المبدأ فصلا كاملا بين القوة الاقتصادية والقوة السياسية)).[15]

تفترض نظرية النخبة أن القوة تتركز في أيدي شريحة صغيرة ومتميزة من المجتمع. تشكل هذه الفرضية الأساسية جوهر النظرية، وآثارها بعيدة المدى. وفقاً لهذه النظرية، تنخرط النخب في صراع مستمر للحفاظ على قوتها ونفوذها وتوسيعهما. يأخذ هذا الصراع شكل معركة فكرية وتنافسية على المستويين الفردي والاجتماعي. إنها ليست معركة جسدية، بل صراع للسيطرة على الأفكار والأعراف والقيم التي تشكل المجتمع، ويشمل هذا الصراع المؤسسات والثقافة والعادات والنظم الاجتماعية الأخرى، وهو ما يجعله صراعاً على المستوى الرمزي في المقام الأول. كما تستخدم النخب قوتها لتشكيل هذه الأنظمة والتحكم فيها لتعزيز مصالحها والحفاظ على وضعها. فقوتها ليست ثابتة أو ستاتيكية، ولكنها ديناميكية متغيرة تستجيب لمتغيرات المجتمع، وهي قادرة على خلق وإنفاذ معاييرها وقيمها الثقافية. وبالتالي، فإن الصراع بين النخبة واللانخبة ليس اقتصادياً وحسب، بل ثقافياً وفكرياً أيضاً. إذ تؤكد نظرية النخبة على أهمية فهم هذا الصراع وآثاره على المجتمع. وهو يعترف بديناميات القوة الموجودة داخل المؤسسات والنظم الاجتماعية والتأثير الذي يمكن أن تحدثه هذه الديناميات على المجتمع الأوسع. من خلال الاعتراف بقوة النخب في تشكيل المجتمع، تؤكد نظرية النخبة على أهمية ضمان توازن القوى في جميع الأنظمة الاجتماعية. وهذا يعني ضمناً تحدي طبقات المجتمع لسردية النخبة كلما نشأت وتعززت أنظمة أكثر كفاءة في المؤسسات والثقافة والعادات والأنظمة الاجتماعية الأخرى،

[15] **بوتمور. الصفوة والمجتمع، مصدر سابق، ص49.**

((ويثير ذلك كله تساؤلاً أساسياً يتعلق بفكرة الطبقة الحاكمة هل هذا يعني أن كل مجتمع_ باستثناء المجتمعات البسيطة أو البدائية_ لابد وأن يكون قد شهد تركز قوة، بحيث أدى ذلك إلى تكون طبقة حاكمة؟ وللإجابة على هذا السؤال يتعين علينا أن نذكر _ بداءة _ أن كل أنماط المجتمعات تشهد درجات مختلفة من النموذج الذي قدمه ماركس والذي يقوم على وجود طبقة حاكمة وطبقات خاضعة)).[16]

غالباً ما ترتبط فكرة النخب بأولئك الذين يمتلكون السلطة أو الثروة أو المكانة في المجتمع. ومع ذلك، فإن مفهوم النخب السائد في مجتمع ما (المجتمع العربي نموذجاً) ليس بالضرورة أن يكون مرادفاً للنخبة «الحقيقية». غالباً ما يفرض المجتمع تحيزات أيديولوجية وحزبية قد تنبذ النخب الحقيقية لأسباب بيروقراطية. وهذا يعني أن بعض الأفراد الذين لديهم المؤهلات والتعليم والخبرة اللازمة قد لا يتم الاعتراف بهم كنخب بسبب خلفيتهم الاجتماعية أو انتماءاتهم الطبقية. علاوة على ذلك، قد يؤدي النموذج الاقتصادي الذي يتبعه المجتمع _إذا ما تطرّف هذا النموذج_ إلى استبعاد العديد من أنواع أو قطاعات النخب في المجتمع، وحتى الطبقات الاجتماعية بأكملها. ويمكن ملاحظة ذلك في بعض الصناعات أو المهن التي تتطلب مستويات معينة من التعليم أو المعرفة المتخصصة، ولكنها قد لا تكون متاحة للأفراد من الأسر ذات الدخل المنخفض أو الفئات المهمشة. نتيجة لذلك، قد يفقد المجتمع المواهب الحقيقية والحلول المبتكرة التي يمكن أن يقدمها هؤلاء الأفراد. لذلك من المهم الاعتراف بأن النخب الحقيقية يمكن أن تأتي من جميع شرائح المجتمع المعاش، وأن الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الحالية قد تستبعد بعض المثقفين الأكثر قيمة في المجتمع، *وحتى بالنسبة للجماعات السياسية المتصارعة على السلطة –غير الحاكمة– نلاحظ أن كل جماعة أو حزب سياسي يطرح برنامجا ويقدم للجمهور مرشحيه زاعما أنهم أفضل من غيرهم، وأن مرشحيه هم نخبة المجتمع والأقدر على خدمته، إلا أن هؤلاء المرشحين قد يكونوا نخبة داخل الحزب إما لأنهم انتخبوا داخل هياكله أو لأنهم يمثلوا التقليد السياسي للجماعة السياسية، ولكنهم لا يتحولوا إلى نخبة سياسية للمجتمع ككل إلا إذا أقر المجتمع ذلك، وهنا يأتي دور الانتخابات كآلية من آليات الديمقراطية، لتعطي للشعب دور اختيار من يعتقد أنهم الأفضل، فالانتخابات الدورية وضغوطات الرأي العام من خلال الصحافة والإضرابات والمظاهرات هي الورقة في يد الرأي العام للتأكد من حسن اصطفاء النخب.*[17]

تشهد المجتمعات المعاصرة تحولاً سريعاً على جبهات متعددة، حيث تؤثر التغيرات الاقتصادية والصناعية بشكل كبير على طريقة تشكيل المدن وتكوينها اجتماعياً وتنظيمها اقتصادياً. مع استمرار العولمة والتكنولوجيا في تشكيل العالم، أصبحت المدن مترابطة ومتنوعة بشكل متزايد، مع ظهور صناعات وتكنولوجيات وأشكال عمل جديدة. وقد أدت هذه التغييرات إلى زيادة الحاجة للقدرة على التكيف والابتكار، حيث تسعى المجتمعات إلى مواكبة وتيرة التغيير السريعة. وفي الوقت نفسه، أدى خلق الرأي العام، وانفجار الثورة الإعلامية، وتداول المعلومات إلى تعقيد دور ورسالة النخب الثقافية وعلاقتها مع الجمهور وقطاعات المجتمع الأخرى. وذلك لأن اتجاهات المعلومات والثقافة أصبحت الآن لامركزية للغاية، حيث يستطيع الأفراد والجماعات التواصل ونشر الأفكار والآراء عبر قنوات مختلفة، بما في ذلك منصات وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، *إذا فالعولمة وما تهدف إليه في مختلف جوانب الحياة وما لازمها من مشكلات وأزمات، شكلت منعطفاً في تاريخ الشعوب ونقلتها للعيش في مرحلة جديدة تختلف جذرياً عما سبقها مع تغلغل*

[16] **المصدر السابق، ص47.**

[17] **أبراش، ابراهيم. مرجع سابق، ص 65.**

العولمة الثقافية في جميع مجالات الحياة، وكون الثقافة كمجال مهم من مجالات الحياة أخذت الدول تتعرض في ظل العولمة للكثير من التحديات ففي الوقت الذي تسعى فيه العولمة إلى إطلاق الحرية للسلع ورؤوس الأموال في التنقل دون أي ضوابط تعيق حركتها كذلك فإنها تدعو إلى إيجاد ثقافة بلا حدود وبلا هوية. ذلك خلال استخدام التطور التكنولوجي للاتصالات والمعلومات إذا يتم الترويج والتبادل بين الثقافات من خلال هذه التقانة، وهذا بدوره ينعكس على تحويل الثقافة كسلعة يتم تبادلها بكل سهولة بين دول وشعوب العالم.[18] وقد أدى ذلك إلى تنويع وجهات النظر والأفكار الثقافية، وتحدي الأفكار والقيم التقليدية المرتبطة بالنخب الثقافية. نتيجة لذلك، يجب على النخب الثقافية الآن التنقل في مشهد سريع التحول للمعايير والقيم الثقافية، والسعي إلى دمج وجهات النظر المتنوعة والمشاركة مع الجمهور بطرق ذات مغزى وفعالة. وعموما، فإن الطبيعة المتغيرة للمجتمعات المعاصرة تتطلب أن يظل الأفراد والمجتمعات المحلية مرنين ومنفتحين على الأفكار والنهج الجديدة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ((مقابل ذلك كله يجري في الوقت نفسه تغير على مستوى المدينة والمجتمع، كما يجري على مستوى السياسة والسلطة والديمقراطية. فالمدينة هي بأمكنتها. والمكان قد تغيرت خارطته، مع التقنيات الالكترونية، على نحو يتيح تشكيل مدينة عالمية مجردة من موقعها الإقليمي، مدنية متخيلة لا مركز لها، لأنها توجد في كل مكان. والمجال التلفزيوني يغير العلاقة بالديمقراطية، بقدر ما أصبحت صناعة الرأي العام نعتمد على المعلومة والصورة، أكثر مما تعتمد على الكتاب والصحيفة أو على الحزب والنقابة. ووجدانية السوق تتيح خلق وسط عالمي يتشكل من طوائف جديدة، موطنها الأرض وفضاؤها السبراني، أي حيث تصل منتجاتها الرمزية من النصوص والأعداد والعلامات)). [19]

لقد استفادت النخب في الدول الغربية، السياسية والثقافية، استفادة هائلة من الثورة الإعلامية وتدفق المعلومات لأنها تمكنت من السيطرة على العديد من جوانبها. وقد مكنتهم هذه السيطرة من تشكيل الرأي العام والتحكم في السرد الإخباري وتعزيز مصالحهم. وقد أدى ظهور منصات وسائل التواصل الاجتماعي والمدونات وغيرها من أشكال الوسائط الرقمية إلى توسيع هذه السيطرة، مما سمح للنخب بالوصول إلى جمهور أوسع وممارسة تأثير أكبر عبر المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية. في المقابل، كثيراً ما تدخلت النخب الثقافية العربية المهيمنة في التدفق الإعلامي لوسائل الإعلام، وغالباً ما كانت تفرض الرقابة وتحد من الوصول إلى المعلومات التي تعتبرها غير مؤاتية أو تهدد أمن المجتمع. وقد أعاق ذلك قدرة المجتمعات العربية على تطوير مجال عام قوي ومتنوع، مما أعاق نمو المشاركة المدنية وتبادل الأفكار. ومع ذلك، أظهرت النخب في المجتمعات الغربية المتقدمة قدرة ملحوظة على التكيف والتطور جنباً إلى جنب مع التحول الاجتماعي والتكنولوجي. نتيجة لذلك، نشأت فرص وتحديات جديدة، حيث يقود أصحاب الريادة والابتكار التكنولوجي القيادة في توجيه الجماهير وتشكيل الرأي العام. وعلى الرغم من السلبيات المحتملة، أدت ثورة وسائل الإعلام وتدفق المعلومات في المجتمعات الغربية إلى إضفاء الطابع الديمقراطي على المعرفة والأفكار، وتمكين الأفراد والمجتمعات من التعبير عن أنفسهم بطرق جديدة ومبتكرة، ومع ذلك ظلت المخاطر من توجيه الإعلام قائمة من خلال تضليل النخب للإعلام والرأي العام عبر خلق التحيّز الايديولوجي في الأذهان، و هذا ما حذا ببعض المفكرين العرب باتهام النخب الغربية باستغلال النفوذ من أجل تضليل العالم، يقول المدرسي في هذا الصدد: ((قد تمثّلت (العبقرية المرعبة للنخبة السياسية الأمريكية) منذ البداية، وكما لاحظ جورفيدال، في قدرتها على اقناع الشعب

[18] ناصر، علاء. العولمة والتحدي الثقافي، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد 5، 2014، ص 173.

[19] حرب، علي: حديث النهايات – فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004، ص 42.

بالتصويت ضد اكثر مصالحه أهمية. فحقاً، تنقسم البشرية –حتى في أكثر البلدان تطوراً–إلى مجموعتين: نُخبة فاسدة –في أغلب الاحيان–تسيطر على كافة أدوات القوة، من المال والإعلام والقوة السياسية، ومجموعة كبيرة من الناس الذي يُستغلون من المجموعة الاولى. ويرجع الويل في كثيرٍ من الأزمات العالمية الى الطبقة الأولى...)).[20]

وجدت النخبة الاجتماعية والثقافية والسياسية المساعدة في الثقافات التقليدية في المجتمع المعاصر في كل من المجتمعات الغربية والعربية. في المجتمعات الغربية، غالباً ما تعمل الثقافات التقليدية كمصدر للإلهام والهوية، مما يوفر إحساساً بالاستمرارية والارتباط بالماضي. لقد استفادت النخب أيضاً من الثقافات التقليدية لتعزيز القومية والفخر المدني. وبالمثل، في المجتمعات العربية في الشرق الأوسط، كان لبقاء الثقافة التقليدية وتوطيدها دوراً حيوياً في تشكيل المشهد المعاصر. فقد أدى التفاعل بين الدين والحداثة إلى إعادة بناء ثقافة التراث، حيث تتمتع الموسيقى التقليدية والفن والأدب باهتمام وتقدير متجدد. ونتيجة لذلك، تمكنت النخب في المجتمعات العربية من الاستفادة من الثقافات التقليدية لتعزيز الأصالة الثقافية ومقاومة تأثير الهيمنة الثقافية الغربية. في كلتا الحالتين، وقد ساعد استخدام الثقافات التقليدية من قبل النخب الاجتماعية والثقافية والسياسية على تعزيز الهوية الثقافية، وتعزيز التماسك الاجتماعي، والحفاظ على التراث الثقافي للأجيال القادمة، غير أن الأزمة في هذه المسألة أن الثقافة التقليدية كانت ممثلة بالجماهير او "العامّة" فيما الثقافة التقدمية ممثلة بالنخب، هاتان الثقافتان هما في تنافس وتصارع مستمر، ((ومكمن العلة ليس في الجماهير ولا في الواقع بالطبع. بل في ثنائية الطليعة والجماهير، أو النخبة والعامة، أو الحزب والأمة. إن مثل هذه الثنائيات تكشفت عن عيوبها وفقدت مصداقيتها كإطار للرؤية أو كأداة للعمل. والواقع أن ثنائية الطليعة والجمهور، هي وجه لثنائيات الذات والموضوع. إنها نتاج لفلسفة الذاتية القائلة بوجود ذات مفكرة، متعالية، قاصدة، سيدة، مريدة، تتمثل العالم فيما هي تتمثل ذاتها، وتؤسس الحقيقة فيما هي تتيقن من وجودها، وتحرك التاريخ فيما هي تعي بدوافعها، وتمثل مصالح الجماهير فيما هي تقرر ذلك..)).[21]

إن ترسيخ الفكر الليبرالي في الغرب ظاهرة راسخة، والنخب السائدة هي النخب الليبرالية. تأتي هذه الهيمنة على الفكر الليبرالي في أعقاب ثورة اجتماعية وثقافية وسياسية جلبت معها موجة من القيم الليبرالية مثل الفردية والمشاريع الحرة والحرية الشخصية. أصبحت هذه القيم الليبرالية راسخة في نسيج المجتمع الغربي، وتشكيل مؤسساته وقوانينه وأعرافه. وقد أدى ظهور الإنترنت وأشكال أخرى من التكنولوجيا الحديثة إلى تعزيز قبضة الفكر الليبرالي في العالم الغربي. وبصفتها القوة المهيمنة في الغرب، لعبت النخب الليبرالية دوراً أساسياً في تطوير الأدوات والمنصات التي تدعم مجال المعلومات وعالم ثورة المعرفة. إن نجاح الفكر الليبرالي في التطور والانتشار والانسجام مع نظام تدفق المعرفة الثوري الناجم عن تكنولوجيا المعلومات هو شهادة على مرونته وقدرته على التكيف وكذلك خطورته وصعوبة ضبط تدفق أفكاره. نتيجة لذلك، أصبح الفكر الليبرالي مكوناً أساسياً لروح العصر، حيث يؤثر على الخطابات الثقافية والاجتماعية والسياسية ويشكل الطرق التي نتعامل بها مع العالم. بالنظر إلى المستقبل، يبدو من المرجح أن تستمر هيمنة الفكر الليبرالي في الغرب، حيث تستمر في التطور والتكيف مع المشهد المتغير للثورة التكنولوجية، غير أن مكمن الخطورة في هيمنة هذا الفكر هو الاغتراب الحاد الذي يحياه الإنسان، وتزعزع المفاهيم القيمية والماهوية للوجود الإنساني، فهذا الفكر يمر بزمن عصيب في إيجاد معنى جديد للإنسان والإنسانية، وإعادة تعريف القيمة، إذ إن ((أفكار دهاقنة الفكر

[20] **المدرسي، محسن. النخبة الجامعية ومسؤولية التغيير، دار البصائر، العراق، ط1، 2019، ص 40.**

[21] **حرب، علي: أوهام النخبة، مرجع سابق، ص 53.**

الليبرالي الغربي ما بعد الحرب الباردة أمثال فوكوياما وبريجنسكي وهنتنجتن وهنري كيسنجر هي امتداد موضوعي لفكر التنوير، في منحاه السياسي، بعدما تعرّض ذلك الفكر لهزات وإزاحات وانحرافات اقتضتها إكراهات السياسة ولعبة المصالح، وبعدما بات البعد الإنساني يضمر في فكر الغرب الذي اتجه نحو عقلانية أداتية. وهي العقلانية التي انتصرت على حساب الحرية، لاسيما بعد دخولنا إلى ما يُعرف اليوم بعصر العولمة الذي يضج بالتناقضات والمفارقات، حيث تنفتح الأسواق والحدود بعضها على بعض وتتوسع آفاق الاتصال والتواصل في مقابل تشظيات عميقة راحت تحصل في بنى المجتمعات وتمزقها على أساس الهويات الإثنية والثقافات الفرعية. وتوفر أسباباً مضافة للصراعات والحروب والعنف والإرهاب)).[22]

إن النموذج الفكري الذي نراه في المجتمع الليبرالي مصمم بشكل كبير من خلال سياق الحضارة الغربية وتطور الثقافة الرأسمالية. ويؤيد هذا النموذج فكرة أن الاقتصاد يجب أن يكون القوة الدافعة وراء المجتمع، مع التركيز على القيم الفردية مثل الحرية الشخصية والحرية ورأسمالية السوق الحرة. وأحد أوجه القصور في هذا النموذج هو فصله عن الإنتاج الاقتصادي إلى حد كبير. وقد أدى ذلك إلى تفاوت بين الهياكل الإنتاجية للمجتمع ودور المثقف. وقد كان المثقف تقليدياً دخيلاً على عالم الإنتاج الرأسمالي. ومع ذلك، مع التحول المتزايد للإنتاج الاقتصادي إلى إنتاج المعرفة، وجد المثقف دوراً جديداً. لقد أصبح المثقفون لاعبين مهمين في إنتاج المنتجات والخدمات القائمة على المعرفة، مستخدمين مهاراتهم الفريدة لتطوير أفكار جديدة ومبتكرة تدفع التقدم داخل مجتمعنا. على الرغم من هذا الدور المكتشف حديثاً، لا يزال عزل المثقف عن الهياكل الإنتاجية في المجتمع الحديث ملحوظاً جداً. ترسخت هذه الظاهرة في القرن العشرين، إذ كان يُنظر إلى المثقف على أنه شخصية مضادة للثقافة السائدة والشعبية، وقد أدى هذا الانفصال عن الهياكل الإنتاجية للمجتمع إلى خلق تصور لدى الجمهور بأن المثقفين بعيدون عن الواقع العملي للحياة الحديثة، مما يجعل من الضروري لهم الاندماج بشكل أفضل مع المشهد الاجتماعي والاقتصادي الأوسع، وهذه الأفكار مترسخة في تاريخ نظرية النخبة، وتاريخ النظرية الثقافية، *وقد لاحظ ريمون رون في مؤلفه أفيون المثقفين أن المثقفين الفرنسيين الذين يتمتعون بهيبة اجتماعية أعلى يرتبطون ارتباطاً محدوداً بالجوانب الإدارية والعملية للحياة السياسية، وهم يقدمون انتقادات راديكالية لمجتمعهم أكثر من المثقفين في بريطانيا أو ألمانيا أو الولايات المتحدة وذلك ما بينته دراسة عن أعضاء مجلس النواب الفرنسي منذ عام 1871حتى 1958 اتضح أن أكثر من نصف النواب المنتخبين خلال تلك الفترة _ وهم من المثقفين بالمعنى الواسع _ يضمون فئات مثل: الكتاب، وأساتذة الجامعات، والمحامين، والصحفيين، والعلماء والمهندسون ومدرسي المدارس يميلون إلى المناقشات النظرية البعيدة عن الواقع.*[23]

ففي المجتمع الحديث، غالباً ما ينغمس المثقف في التفكير المجرد والرؤية النظرية، والتي يمكن أن تكون بعيدة كل البعد عن التجارب الحقيقية للمجتمع. وهذا يمكن أن يجعل من الصعب على المثقف أن يسهم إسهاماً مفيداً في التنمية السياسية للمجتمع. وقد كان يُنظر إلى المثقف تقليدياً على أنه مصدر للفكر السياسي والإصلاح، لكن مساهماته غالباً ما كانت محدودة وغير عملية. ويعزى هذا الإسهام المحدود جزئياً إلى أن المفكر يفتقر في كثير من الأحيان إلى الخبرة العملية مع الحقائق العملية للحياة السياسية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للمثقف أن يصبح راسخاً في رؤيته النظرية، مما يجعله ينجرف إلى الراديكالية الطوباوية. يمكن أن يكون هذا النوع من التطرف خطيراً، حيث يسعى غالباً إلى فرض

[22] رحيم، سعد محمد. المثقف الذي يدس أنفه، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، 2016، ص 105.

[23] بوتمور. الصفوة والمجتمع، مصدر سابق، 1988، ص90.

حلول مجردة على مشاكل العالم الحقيقي. بدلاً من النظر إلى الحلول العملية، غالباً ما يصبح المثقف مهووساً بالمثل المجردة التي لا ترتكز على الواقع. ويمكن أن يؤدي ذلك إلى انفصال المثقف عن المجتمع الأوسع، مما يجعل من الصعب عليهم تقديم مساهمات ذات مغزى في التنمية السياسية، ووفي هذا السياق وبالعودة إلى الدراسات التي يوردها بوتيمور، *فقد خلصت الدراسة إلى أن المثقفين في فرنسا تزعموا حركة النقاش السياسي في مجلس النواب خلال الجمهورية الرابعة والثالثة أيضاً، أنهم غالباً ما اتصفوا بالتعصب الشديد لأيديولوجياتهم السياسية. وأ عقولهم متشابهة التكوين، بمعنى أن لديهم ميل نحو طرح مشكلات بمجردة، بدرجات متفاوتة من الإخلاص، وهم غالباً ما يوسعون من نطاق هذه المشكلات بمقدرة عالية. لكن هذا الاتجاه أو الميل يؤدي إلى منزلق خطير بكونهم يمتلكون نزعة غير واقعية، فغالباً ما يقترحون حلولا غير واقعية، وأنهم أيضاً يتمسكون بالفرعيات ويهملون المسائل الرئيسة، فيعملون بلا جدوى على تعقيد وتفريع المناقشات البرلمانية، بإدخال مشكلات زائفة، وعدم الاتفاق بينهم.*[24]

هكذا يتبين أنه من الضروري للمفكرين الحفاظ على التوازن بين تفكيرهم المجرد وارتباطهم بالاحتياجات العملية للمجتمع، إذا كان لهم أن يكونوا عوامل فعالة للتغيير السياسي. ولا يمكن للمفكر أن يسهم إسهاما ذا مغزى ودائماً في التطور السياسي للمجتمع الحديث إلا بسد الفجوة بين النظرية والخبرة الواقعية.

لقد كان تأثير المجتمع الحداثي الغربي على مثقفي المجتمعات العربية موضع نقاشٍ لسنوات عديدة. إذ يجادل الكثيرون بأن المجتمعات العربية لم تتمكن من تطوير هويتها الفكرية بسبب التأثير الساحق للقيم والأفكار الغربية. ونتيجة لذلك، شعر كثير من المثقفين العرب بضرورة تبني هذه الأفكار دون التشكيك في أهميتها أو مساءلتها تجاه السياق المحلي وهو ما شكّل النزعة التغريبية. فقد كان اعتماد القيم الغربية واضحاً بشكل خاص في مجالات العلم والتكنولوجيا والفلسفة. وأحدث هذا الاتجاه تغييرات كبيرة في المجتمعات العربية، لا سيما من حيث المعايير الاجتماعية والسياسية والثقافية. وكان فصل الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية أحد أهم آثار تبني القيم الغربية. فيما كان هذا تحولاً كبيراً عن المجتمعات العربية التقليدية، حيث لعب الدين دوراً رئيسياً في الحياة اليومية للأفراد. كما أدى تبني القيم الغربية إلى زيادة التركيز على الفردية والحرية الشخصية والعلمانية. وبينما قد تكون هذه القيم مناسبة للمجتمعات الغربية، إلا أنها قد تكون إشكالية عند تطبيقها على المجتمعات العربية، حيث قد تحظى القيم الاجتماعية والثقافية والتقليدية بالأولوية. إلى حد ما، وقد أدى تبني المثقفين العرب للقيم الغربية إلى فقدان الاستقلال الفكري والهوية، فضلاً عن فقدان محتمل للارتباط بقيم وتقاليد العالم العربي. من أجل الدخول الحقيقي إلى عالم الحداثة، إذ يجب على المثقفين العرب إيجاد طريقة لدمج القيم الغربية مع تقاليدهم الثقافية والفكرية، بدلاً من مجرد استيراد الأفكار الأجنبية دون اعتبار لأهميتها، يعلّق سيد سعيد على هذه الإشكالية: ((لقد نشأ أفراد النخبة المثقفة في أغلب البلدان العربية في أحضان الثقافة الغربية. فهم بحكم نشأتهم، منعزلون، وهم حين يتبنون قضايا التحرير، يقعون تحت تأثير هذه الازدواجية، فهم من ناحية يخوضون صراعا ضد ثقافة تعلموها وتربوا في أحضانها، ومن الناحية الأخرى هم عاجزون عن إعطاء ثقافة بديلة. ذلك أن المثقف يلاحظ أن الثقافة التي يريد أن يتبناها لحرصه على الأصالة لا تملك من وجوه كثيرة أن تصمد للمقارنة بينها وبين الوجوه الكثيرة المتألقة للثقافة الأوروبية. وهكذا تظل المبادرات الابداعية متخلفة لأن الحساسية الفنية والثقافية

[24] **المصدر السابق، ص 90- 91.**

لهؤلاء المثقفين. قد تربت عل الانبهار بالإنجازات الشكلية. وتأتي انجازاتهم في هذا الوضع مفتقدة الاتجاه، وغير قادرة على استثمار أو ترجمة الظروف السياسية والاجتماعية التي يموج بها الوطن العربي)). [25]

إن الرد النخبوي على الموقف التغريبي لبعض النخب هو الدراسة الاستغرابية، فبينما مالت العديد من النخب إلى تبني الموقف التغريبي كأساس للقيم الثقافي التي تقوم بترويجها، فإن نخباً أخرى قامت ببناء تصورات مهمة حول دراسة الغرب كموضوع للدراسة، بشكل مناظر للتصور الاستشراقي، مع التركيز على إمكانية هضم مكتسبات الحضارة الغربية ووضع منتجاتها تحت النقد العقلي والقيمي، إذ إن ((علم الاستغراب المرجو تأسيسه في الفكر العربي المعاصر هو ليس نضال ضد أي حضارة ولا جهد فكري تدميري، بل هو فتح عقلي يركز على دعم واستيعاب مواطن النور في الحضارات لتفهم مفاتيح النهوض البشري وللتعرف على نقاط الإبداع دون نُك ا رنها على أصحابها ودون التوقف جانباً على هامش الرَكب الحضاري، بل العمل على تقديم الفائدة وعلى إخصاب عملية التقدم بِمُشَاركة ذات مُسمى عربي؛ مَرَّة مُكَمِلَة ومرة داعمة لما عند الآخرين)). [26]

وبالانتقال إلى مسألة ذات صلة، وهي الرأي العام المقابل للمثقف النخبوي، خصوصاً مع إدراك إمكانية تأثر الرأي العام بالدفق المعلوماتي الثقافي العولمي، فهذا الرأي العام ظاهرة معقدة وديناميكية تشكلها عوامل مختلفة، بما في ذلك وسائل الإعلام والأعراف الاجتماعية والقيم الشخصية والأيديولوجية. وفي المجتمع المعاصر، تؤدي وسائل الإعلام –التقليدية والاجتماعية –دوراً حاسماً في تشكيل الرأي العام. وقد أدى انتشار التكنولوجيا الرقمية إلى زيادة كبيرة في نطاق وسرعة نشر المعلومات، مما أعطى ديناميات جديدة للرأي العام. ومع ذلك، ومع ظهور اتجاهات وسائل الإعلام، قد يكون الأفراد أقل عرضة لمنظورات متعددة للواقع، مما قد يؤدي إلى رؤية محدودة ومنحرفة للواقع. علاوة على ذلك، يمكن أن يتأثر الرأي العام بالأيديولوجية، التي تتشكل فيها مواقف الناس ومعتقداتهم من خلال توجهاتهم السياسية والاجتماعية والثقافية. فيما يمكن أن يكون للمفكرين تأثير كبير على الرأي العام من خلال تشكيل كيفية تعامل الأفراد مع القضايا المجتمعية وفهمها. ولديهم القدرة على التأثير على الرأي العام من خلال تقاسم معارفهم وخبراتهم وتأييد قيم ثقافية أو سياسية محددة. وقد يسعى المثقفون النخبويون إلى تعزيز قيم جديدة تدعم التغيير والتحول الاجتماعيين. ومع ذلك، يمكن أن يؤدي هذا أيضاً إلى تحيزات أيديولوجية ونقاط عمياء، حيث قد تركز على الترويج لأفكار أو حلول محددة تتماشى مع نظرتهم للعالم، بدلاً من تقديم منظور أكثر دقة وشمولاً. ومن المهم ملاحظة أن الرأي العام لا يتأثر فقط بالمفكرين، بل هو نتيجة لعملية معقدة وتفاعلية بين الأفراد والمجتمعات ووسائط الإعلام، إذ يمكن أن يتأثر الرأي العام بمجموعة من العوامل، بما في ذلك التجارب الشخصية والروايات الإعلامية والحملات السياسية والحركات الاجتماعية. فمن الضروري تعزيز التبادل المتنوع والمفتوح للأفكار لدعم الرأي العام المستنير والدقيق الذي يعكس التنوع والتعقيد الكاملين لمجتمعنا، وقد يكون المثقف كما يرى علي حرب، ((هو من تشغله قضية الحقوق والحريات، أو تهمه سياسة الحقيقة، أو يلتزم الدفاع عن القيم الثقافية، المجتمعية أو الكونية، بفكره وسجالاته، أو بكتاباته ومواقفه، وربما يكون المثقف طوباوياً أو عضوياً، ثورياً أو إصلاحياً، قومياً أو أممياً، اختصاصياً أو شمولياً، ...، وقد يكون شاعراً أو كاتباً أو فيلسوفاً أو عالماً أو فقيهاً .... ولكن أيا ما كان نموذج المثقف وحقل اختصاصه أو مجال عمله، فهو من يهتم بتوجيه الرأي العام، أو من ينخرط في السجال العمومي، دفاعاً عن قول الحقيقة أو حرية المدينة أو مصلحة الأمة أو مستقبل البشرية. فهذه صفته ومهمته، بل هذع مشروعيته ومسؤوليته، بهذا المعنى، فالمثقف هو الوجه الأخر للسياسي، والمشروع البديل عنه)). [27]

---

[25] سعيد، سيد. الثقافة العربية بين الوحدة والتكامل، الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1992، ص 130.

[26] سيف الدين، عبد الله؛ حاج بكري، إنعام. ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد 5، 2014، ص 325.

[27] حرب، علي: أوهام النخبة، مرجع سابق، ص 38.

يشير رأي علي حرب إلى أن النخب الفكرية والاجتماعية والسياسية في المجتمعات العربية كانت مذنبة بالشوفينية والغطرسة تجاه الجمهور. وقد أدى ذلك إلى نقص كبير في التواصل بين هذه النخب والجمهور العربي الأوسع، مما ساهم في نهاية المطاف في فشل التصورات التنموية والثقافية في مواجهة مسألة الهوية والحداثة. وبحسب حرب، فإن الكثير من أجزاء المشكلة ينبع من فشل هذه النخب الفكرية في التعامل بشكل صحيح مع الجمهور العربي الأوسع. وبدلاً من العمل كجسر بين النهج النظرية والعملية للتنمية والتحول الثقافي وتكوين الهوية، فقد أصبحت النخب منغلقة ومنفصلة عن الأشخاص الذين زعموا أنهم يمثلونهم. تاريخيا، فقد سعى المثقفون العرب إلى إظهار تفوقهم الثقافي وبراعتهم الفكرية، وكثيراً ما ينظرون إلى الثقافة الشعبية التقليدية بشكل فوقي. لقد عمل هذا الموقف النخبوي على إبعاد الجمهور، بدلاً من إلهامهم لاحتضان مُثل الحداثة والتنمية الفكرية. لكي تتبنى المجتمعات العربية الحداثة والتطور الفكري حقاً، فهذا ((ثمن النخبوية الحزبية والنرجسية الثقافية والطوباوية العقائدية. وهذا ثمن التشبث بالثوابت المطلقة، والنطق باسم المشروعية العليا للأمة، أو خلع القداسة على الأفكار والأحداث، أو على الأشخاص والأفعال، على ما مارس المثقفون مهامهم في مواجهة السلطات والأنظمة في البلاد العربية والإسلامية: لقد آلت مشاريعهم ومساعيهم إما إلى فقدان مشروعيتهم، أو إلى تهميش دورهم، أو إلى فشلهم واغترابهم عن الواقع؛ أو آلت بالعكس إلى التحاق المثقف بالسلطة، لا كمستشار يقدر ويقيم، أو ينصح ويسدد، بل كموظف أو كواجهة ثقافية أو كزينة فكرية. وأما الذين قدر لهم أن يتسلموا مقاليد الأمور، فقد مارسوا الحكم بأسوأ أشكاله)).[28] وهكذا ينبغي على النخب الفكرية إيجاد طريقة للتواصل بشكل أفضل مع الجمهور، والعمل معاً لتعزيز مساحة ثقافية أكثر شمولاً ومساواة، بحيث ينجحون ببناء علاقة معرفية واعية قائمة على الوضوح بدلاً من التحزّب والتحيّز الفكري المسبق القائم على الإيديولوجيا المعلّبة

الخاتمة والنتائج

في الختام، إن امتلاك النخب الاجتماعية والثقافية وأعضائها للمكانات الاجتماعية التي تمنحهم السلطة والنفوذ الاجتماعي يعكس العلاقة المعقدة وأحياناً الإشكالية بين السلطة والمعرفة والامتياز. على الرغم من أن النخب قد تؤدي دوراً حاسماً في تاريخ مجتمعاتها، مثل حركة التنوير في أوروبا وحركات الاستقلال والتجديد في العالم العربي والعالم الثالث بشكل عام، فإنه من الضروري العمل على تعزيز التنوع والشمولية في القيم الثقافية لضمان استجابة المجتمع لاحتياجات جميع أفراده. إذ يجب تجاوز الحواجز الهيكلية التي تَحُولُ دون المشاركة الاجتماعية الشاملة في بناء المعرفة التي تمثلها النخبة. ويجب أن تتضمن هذه الجهود مراجعة العمليات التي تقوم بها المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية في اختيار النخبة، وزيادة الشفافية والمساءلة عند اختيار النخبة.

تواجه النخب المثقفة في المشرق العربي أيضاً تحديات العولمة الثقافية، التي تؤثر بشكل كبير في البنية المعرفية والثقافية للمجتمعات العربية بمختلف طبقاتها، مما يؤدي إلى تشويه القيم والهويات الثقافية وتقويض التصورات الاجتماعية. من المهم بمكان أن تركز الجهود على الحفاظ على الهوية الثقافية والتقاليد، مما يساعد على الحفاظ على ارتباط الأفراد بجذورهم وتراثهم. يتطلب ذلك زيادة الوعي والتقدير للتقاليد الثقافية، واستراتيجيات للحفاظ عليها في مواجهة الضغوط الثقافية العالمية، وتجديد الثقافة العربية ومكوناتها لبناء هوية جديدة تتوافق مع العصر الحديث.

بالإضافة إلى ذلك، يواجه المثقفون والمفكرون النخبويون تحدياً إضافياً، حيث قد يتسبب تركيزهم على المسائل النظرية والمشكلات المجردة عن الواقع في صعوبة فهمهم من قبل الجمهور. ومع ذلك، فإن عمل المثقفين يسهم في تحسين المجتمع من خلال معالجة المشكلات الأساسية وتقديم حلول مستدامة. ولا بد من تقدير الإسهامات الحيوية التي يقدمها المثقفون والأدباء المتخصصون في تشكيل المعايير المجتمعية وتعزيز التقدم. من خلال تحقيق توازن بين التحليل النظري والمشاركة العملية، وبهذا يمكن للمفكرين ضمان أن يظل عملهم ذو صلة وتأثير في معالجة القضايا الاجتماعية الملحة.

[28] **المرجع السابق، ص 60.**

المصادر والمراجع

1. بوتمور. الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988.
2. أبراش، ابراهيم. علم الاجتماع السياسي، يو للكتب، لندن، طبعة جديدة، 2011.
3. العبد الله، مي. الاتصال في الشرق الاوسط والانهيار الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2015.
4. المدرسي، محسن. النخبة الجامعية ومسؤولية التغيير، دار البصائر، العراق، ط1، 2019.
5. الموسوي، محسن. النخبة الفكرية والانشقاق– تحولات الصفوة العارفة في المجتمع العربي الحديث، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2015.
6. حرب، علي: أوهام النخبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2004.
7. حرب، علي: حديث النهايات – فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004.
8. رحيم، سعد محمد. المثقف الذي يدس أنفه، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، 2016.
9. سعيد، سيد. الثقافة العربية بين الوحدة والتكامل، الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1992.
10. سيف الدين، عبد الله؛ حاج بكري، إنعام. ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد 5، 2014، ص 325.
11. ناصر، علاء. العولمة والتحدي الثقافي، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد 5، 2014.

Sources and references

1. Bottomore. The elite and society, translated by: Muhammad El-Gohary and others, University Knowledge House, Alexandria, 1988.
2. Abrash, Abraham. Political Sociology, U Books, London, new edition, 2011.
3. Al-Abdullah, Mai. Communication in the Middle East and Cultural Collapse, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1st edition, 2015.
4. Al-Madrasi, Muhsin. The university elite and the responsibility for change, Dar Al-Basir, Iraq, 1st edition, 2019.
5. Al-Musawi, Mohsen. The Intellectual Elite and Dissent - Transformations of the Knowledgeable Elite in Modern Arab Society, Ministry of Culture, Arts and Heritage, Doha, 2015.
6. Harb, Ali: Illusions of the Elite, Arab Cultural Center, Beirut, 3rd edition, 2004.
7. Harb, Ali: Discourse of Endings - The Conquests of Globalization and Identity Dilemmas, Arab Cultural Center, Beirut, 2nd Edition, 2004.
8. Rahim, Saad Mohammed. The Intellectual Who Poops His Nose, Dar Sotoor for Publishing and Distribution, Baghdad, 2016.
9. Said, saied. Arab Culture between Unity and Integration, Culture and the Intellectual in the Arab World, Center for Arab Unity Studies, Beirut ,1992.
10., Saif Al-Din, Abdullah; Haj Bakri, Enaam. Westernism Culture in Contemporary Arab thought, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series, Vol. (36), No. (5), 2014.
11.Nasser, Alaa. Globalization the Cultural Challenge, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series, Vol. (36), No. (5), 2014.